٣ ـ الشعر المرسل
وشعراؤنا الذين حاولوه
للأستاذ دريني خشبة

بين يدى الآن وأنا أكتب هذه الكلمة بواكير من الشعر المرسل لا بأس بها للشعراء الأساتذة : محمد فريد أبي حديد وعلى أحمد باكثير واحمد زكي أبي شادى وعبد الرحمن شكرى وخليل شيبوب والمرحوم جميل صدقي الزهاوى ، ثم قطعة الآنسة مهير القلماوى (السيدة الدكتورة الآن)

ولما كانت القطع التي نظمها الأستاذ عبد الرحمن شكرى والمرحوم جميل صدقي الزهاوى ، ثم القطعة التي نظمتها الآنسة مهير متشابهة من حيث القصر ، ومن حيث كونها أقرب إلى القصائد منها إلى ماوضع الشعر المرسل من أجله (النظم المسرحي ونظم الملاحم والقصص الكبيرة) فنحن مضطرون إلى صرف النظر عنها الآن ، على أن نعود إليها فى فرصة أخرى ، ونرجو أن نوفق إلى ذلك بعد الفراغ من استعراض آثار الشعراء الأفاضل الباقين ، لأنها أهم ما فى الأدب العربي الحديث من الشعر المرسل .

أما قطعة الأستاذ شيبوب فقد جمع فيها بين ستة أبحر وربما تناولناها فى حينها

فللأستاذ أبي حديد :

١ — مقتل سيدنا عثمان « درامة كاملة »
٢ — خسرو وشيرين «
٣ — ميسون النجرية « أوبريت كاملة »
٤ — زهراب ورستم « ملحمة نقلها بهذا الشعر عن الشاعر الإنجليزى ماثيو أرنولد »
٥ — بعض المشاهد عن درامات مختلفة لشيكسبير

وللأستاذ باكثير :

١ — السماء أو إخناتون ونفرتيتى « درامة كاملة »
٢ — إبراهيم باشا «
٣ — روميو وجوليت « ترجمة عن شيكسبير »

وللأستاذ الدكتور أبي شادى :

١ — ممنون « أقصوصة منقولة عن فولتير »
٢ — ترنيمة أتون « منقولة بالشعر الحر عن العلامة برستد الذى ترجمها عن الهيروغليفية إلى الإنجليزية »
٣ — مملكتى إبليس « شبه ملحمة للدكتور الفاضل »
٤ — كثير من القطع القصيرة الأخرى

الرائد الأول :

لست أدرى أى الرائدين فكر لأول مرة فى موضوع الشعر المرسل فى مصر خاصة وفى العالم العربي عامة ، أهو الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى ، أم هو الأستاذ الشاعر محمد فريد أبو حديد ؟ ليكن أيهما شئت ، فالذى يهمنى وأفرح به وأتعصب له هو أنهما أحرزا لمصر قصب السبق فى هذا الميدان الجديد من ميادين النظم ؛ ولن يمنعني تعصبي للشعراء المصريين من أن أقر أكون أول المصفقين لشعراء الشعوب العربية العزيزة حينما يظهر من بينهم هذا الشاعر الأصيل المُجَلِّى الذى يبرز فى الميدان ويأتى فى موضوع الشعر المرسل بطرائف وغُرر تبذ طرائف وغرر شعرائنا ، مادام هدفنا هو تجديد الأدب العربي ، وتجديد الشعر العربي بوصف كونه فرعاً من فروع هذا الأدب ، وإخراجه من حدوده الشكلية والموضوعية الضيقة التي وقفت عند النهضة الأندلسية الكبرى

على أنى لا أشك مطلقاً فى أن الأستاذ أبا حديد هو الشاعر

ثم يطمع ذاك المطمع ، ويغضب ويهدد ، ثم يرجع وصاحبه فى ذلك اليوم سالمين

لقد بالغ الصواغون فى تزويق عامر وتلوينه وتشكيله وتكبيره ، والتلوين حائل ، والباطل زائل

٥ — بعث منشئ المقامة الحارث بن عُباد من مرقده ، وأصحبه الوفد ، وقد درج الرجل قبل أن يؤمر النعمان قومه ويُعَمِّله سلطانه بخمسة عشر حولاً كما حقق ذلك المحققون ، فلم يقل الحارث لكسرى : « العرب تعلم أنى أبعث الحرب قدما . . . حتى إذا جاشت نارها . . . جعلت مقادها رمحى وبرقها سيفى ورعدها زئيرى ، فأستمطرها دماً وأترك حماتها (جزر السيوف وكل نسر قشعم) » وجزر السيوف الخ مقتبس من الطويلة المنسوبة إلى عنترة بن شداد وقد استبدلت (السيوف) فى (المقامة) بالسباع . وكانت وفاة الحارث المقتبس قبل وفاة عنترة بثلاثين سنة . وإن كانت تلك الطويلة الميمية إسلامية تمادية فبين الوفاتين دهر طويل ...

(يتبع)

الثائر الأول الذى فكر فى نظم درامة كاملة بالشعر المرسل الذى لا يخضع لسلطان القافية ، فقد نظم درامة « مقتل سيدنا عثمان » سنة ١٩١٨ أى منذ خمس وعشرين سنة ، عندما تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وعند ما وضعت الحرب الكبرى الأولى أوزارها

وقد نظمها الأستاذ أبو حديد لنفسه كما يقول فى المقدمة ... أو على حد تعبيره هو : « ... لقد كان أبعد شىء من تصورى أن تلك الرواية سوف تقع عليها عين سواى ، فإنى ما كتبتها إلا لكى ألهو بكتابتها ، أو إن شئت قلت إنى لم أكتبها إلا للذة النفسية التى كنت أجدها فى تأليفها ، فلما أن أتممتها كما رسمت وضعتها فى درج مكتبى ، وكنت لا أعيرها بعد ذلك التفاتاً ... »

وقد بقيت الرواية فى هذا الدرج المظلم المكدس بالمسودات عشر سنوات تباعاً ... ولم تر الضوء إلا سنة ١٩٢٧ حينما كان الأستاذ مدرساً بمدرسة الأمير فاروق الثانوية ، فطبعتها المدرسة لحسابها الخاص ومثلتها فرقة التمثيل بها

ونحن يسرنا أن نسجل هذا كله لفائدة تاريخ الأدب العربى الحديث ، وتاريخ الأدب المصرى بنوع خاص

وقبل أن نتناول الدرامة بشىء من التلخيص أو التحليل أو النقد ، نثبت الفادرة ، أو الفكاهة الأدبية التاريخية التالية :

عندما فرغ الأستاذ أبو حديد من نظم روايته ، أو كتابتها كما يقول هو ، جلها معه ، وانطلق بها كأنه وقع على لقية ، أو اهتدى إلى الأكسير الذى أضنى كيمائيى العرب ، حتى إذا بلغ جريدة الأهرام ، دخل على الأستاذ الأديب المغفور له صادق عنبر فحدثه حديثها ، الذى هو حديث الشعر المرسل ، ثم استأذن الأستاذ فى أن يتلو عليه بعض مناظرها ... ثم انطلق فى هذه التلاوة ، وعنبر عليه رحمة الله مصغ له . منصت إليه ... وقد خيل إلى الأستاذ أبى حديد أن الأديب الكبير غفر الله له ما تقدم من ذنبه ـ وما تأخر أيضاً ـ قد أخذ فعلا بجمال هذا اللون الغريب من ألوان الشعر ، واستولى على نفسه سحره ؛ فلما فرغ الشاعر الشاب من تلاوته ، التفت إليه الأديب العتيد وتبسم قائلاً : أتدرى يا أبا حديد ؟ إن مصر لم تكسب من هذه الحرب الكبرى غير شيئين ... الشعر المرسل ... والحمى الإسپانيولية ! وكانت الحمى الإسپانية قد تفشت عقب تلك الحرب فى مصر حتى أذاقت أهلها الأمرين !

ولست أدرى لماذا نجوت أنا من براثن تلك الحمى التى أشفيت بسببها على الهلاك إذ ذاك ، ولماذا عشت إلى سنة ١٩٤٣ ، لأدعو من جديد إلى الشعر المرسل ، توأم الحمى الإسپانيولية وصنوها فى نظر المغفور له الأستاذ صادق عنبر ؟!

ترى ... ماذا كان وقع هذا اللقاء فى نفس الأستاذ أبى حديد؟ ولكن لماذا نسأل ؟ ... لقد مضى ينظم من الشعر المرسل الذى يتخلله بعض الشعر المقفى تلك الأوبريت الجميلة الرائعة « ميسون النجرية » ، والتى طبعها على حسابه هو ، لا على حساب مدرسة كذا أو معهد كذا أو لجنة كذا من لجان التأليف ... ثم مضى يترجم ثم ينظم ملحمة زهراب ورستم التى استأذن القراء فأقول إنى أكاد أحفظ أصلها الإنجليزى عن ظهر قلب لروعة أسلوبها وجمال تسلسلها وبهاء شعرها المرسل المنظوم بقلم ماثيو أرنولد الشاعر الناقد العظيم ! وقد فرغ أبو حديد من نظمها شعراً مرسلاً سوف أعرض نماذج منه فى حينه

ونقف بعد ذلك لحظة ... لقد ذكرت فى الثبت الذى وضعته بين أيدى القراء فى صدر هذا المقال للأستاذ أبى حديد ، درامة خسرو وشيرين ، ولست أدرى لماذا صنعت هذا دون أن أستأذن الأستاذ فى ذلك ، إذ أنه نظم الدرامة وأعدها للطبع ... ثم طبعها بالفعل ... وأصدرها دون أن تحمل اسم مؤلفها ! ... إذن لماذا أذيع أنا هذا الاسم دون استئذان ؟ هل صنعت ذلك دون وحى ، أو أنا إنما صنعته خدمة لتاريخ الأدب المصرى الحديث؟

ثم نتساءل بعد هذا لماذا لم يثبت الأستاذ أبو حديد اسمه على روايته ؟ قد نجد من ذلك الذى نقتطفه من المقدمة جواب هذا السؤال : « ... وأما إذا أنت صبرت أيها القارىء ، فقرأت سطران أو سطرين أو ثلاثة من هذا المطبوع ثم قذفت به حيث أردت ، لم تكن فى ذلك بالمعذور ، بل كنت متفضلاً مضحياً من أجل مجاملتى ، مع أنك لا تعرف من أنا ، وفى هذا أدب عظيم وكرم مطبوع . وأما إذا كنت قد بلغت من قوة ضبط النفس ورياضتها على المكاره بحيث استطعت أن تثبت على القراءة حتى أتيت إلى آخر كلمة ، ثم تركت لنفسك العنان بعد طول كبحها وحبسها فانطلقت تصخب وتشتم وتنادى بالويل والثبور ـ إذا فعلت ذلك كنت فى نظرى بطلا من أبطال العزيمة وقوة الاحتمال . على أنك لو فعلت ذلك لم يمسنى منك أذى ، وإن بلغت فى ثورتك مبلغاً مخيفاً لأنى قد توقعت مثل ذلك فأخفيت نفسى حتى

لا تتحرج فيما تفعل . . . . . فافعل ما بدا لك أيها القارىء ولا تتورع فإن أحجارك أو سهامك لن تصل إلى ! »

ولا بد لنا من أن نقتطف القطعة التالية أيضاً :

« وأما إذا كنت يا أخي — ولا مؤاخذة — ممن في ذوقهم شذوذ عن المألوف مثلي فاستحليت من هذا القول ما يمر في الأذواق أو أعجبك منه ما يقبع في الأنظار فلك رثائي وعطفي ، فالمريض يعطف على مثله ! ومن آية رثائي لك وعطفي عليك أنني أنصحك نصيحة أرجو أن تقبلها . . . فقد تعرضت قبلك من جراء شذوذي عما ألفه الناس لكثير من الألم والفشل ؛ فأحذرك من إظهار رأيك — (أي في استحسان الشعر المرسل ! — أمام أحد من الناس ولو كان من أعز أصدقائك ، فالصداقة قد لا تقوى على الثبوت مع الشذوذ في الرأي والذوق . . .) »

لماذا يا ترى يتحرج صاحب مذكرات جحا ! — (وهذه غلطة عظيمة أخرى نغلطها من دون وعي) — كل هذا التحرج ويتأثم كل ذلك التأثم ؟! هل يتحرج كل هذا التحرج ، ويتأثم كل ذلك التأثم ، لأنه كما يقول شذ عن مألوف الناس في نظم الشعر ، وثار بقوافي العروض العربي ، فتعرض لكثير من الألم والفشل ؟ . . . ولكنا نسائل أنفسنا عن هذا الألم وذاك الفشل أين هما ؟ وإن كان أبو حديد قد تعرض للكثير منهما فما باله لم ينصرف عن هذا الشعر المرسل الثقيل الغث الذي يعرض ناظمه — أو كاتبه — لألوان مرة من الألم ، وصنوف كثيرة من الفشل ؟ ما باله لم ينصرف عن هذا البلاء الذي يؤمن بأن قراءة سطر أو سطرين منه كافية لأن تضع الحصى في يد القارىء فيحصب به الناظم أو الكاتب لو رآه ؟ ما باله يطول جنينه إلى هذا النظم السمج النابي على الأذواق فيكتب به كل تلك الروايات وينظم منه هذه الملاحم التي يعترف بأن قراءة سطر أو سطرين منها تضحية من القارىء وأدب عظيم وكرم مطبوع السخاء نفس وتفضل . . . وإن القارىء إذا خرج بعد قراءة هذا وسطر أو هذين السطرين عن طوره فقذف بما نظم أبو حديد من حالق أو قذف به في نارجهنم أو نار الدفأة أو مزقه أو ألقى به من النافذة أو دفنه إلى الأطفال يعبثون به ، فهو معذور لا تثريب عليه ، لأن أبا حديد زعم له بأنه صاحب نظم جديد وصاحب رسالة جديدة — صاحب نظم جديد هو هذا النظم المرسل الذي لم يعرفه الذوق العربي فضلاً عن أن يألفه ، وصاحب رسالة جديدة هي توسيع مدى الأغراض التي يجب أن يتسع لها أفق الشعر العربي والأدب العربي جميعاً فتكون لنا درامة عربية وتكون لنا درامة عربية منظومة ، وتكون لنا درامة عربية منظومة كما ينظم الشعراء العباقرة في أوربا . . . وإذا لم يكن من ذلك بد ، فلا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر العربي إقحاماً ، ولا بد أن نصعّر خدودنا للناس وأن نلح عليهم في قبول هذا الشعر المرسل حتى يعرفوه وحتى يألفوه وحتى يغرموا به كما عرفه الأوربيون وألفوه وأغرموا به من القرن السادس عشر إلى اليوم . . . لا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر إقحاماً ، ويجب أن نصعر خدودنا معشر الشعراء للناس ، ويجب أن نحتمل أذاهم مهما يكن مبلغ هذا الأذى . فما حصوات نرجم بهن مرة أو مرتين ، وما كلمات من سباب لن يعتلىء بهن الهواء قط توجه إلينا هنا أو هناك ؟ سنلح عليهم كما ألح أبو حديد ، فإذا بلغ سخطهم علينا حد القتل ، لا قدر الله ، فلنمكر بهم كما مكر ، ولنمض في سبيلنا من حيث كتابة الدرامات والملاحم المنظومة بالشعر المرسل ولنطبعها لهم ولنوزعها عليهم بالمجان . . . فلنحصبهم بها كما حصبونا بالحجارة ولا داعي مطلقاً لكتابة أسمائنا — نحن معشر الناظمين أو الكاتبين — عليها . ولتكن تضحيتنا في ذلك خالصة لوجه الوطن والأمم العربية ولوجه اللغة والأدب . الأدب العربي والأدب المصري على السواء . . . ولن نعدم كاتباً كصاحب هذا المقال يفاجىء الناس بالحق ، ويذكر لهم أننا أصحاب هذه الدرامة والملاحم الضائعة . . . ومن يدري ؟ فقد يأتي يوم يستسمح الناس فيه رجمهم وتمسكهم بالقديم الرث . وقد يزيدون فينزعون عنهم ما نسج لهم المهلهل وذو الرمة وعلقمة الفحل ليرتدوا أثوافاً من نسجنا نحن . . . وحينئذ لا نجد داعياً لهذا التخفي ، بل ربما أصابنا طائف من الزهو والخيلاء فآثرنا ركوب الجمال ليرانا الناس جميعاً ويشار إلينا بكل بنان ! وهل في ركوب الجمال شذوذ كشذوذ الشعر المرسل ؟ وهل ركوبهن خروج على مألوف الناس كخروج الشعر المرسل على المألوف المعروف من قوافي الشعر العربي ؟ ولماذا نعد ركوب الجمال شذوذاً وخروجاً على مألوف الناس مع أن المهلهل كان يركب الجمال ، والمهلهل هو الذي هلهل الشعر فيما يهذي مؤرخو الأدب العربي ، وهو الذي جعل للشعر تلك القوافي المطردة التي ما زال الناس في جميع العالم العربي يستحلونها